الأدب العـربي وتأثـره بالآداب الأجنبية

د.عبد الباسط محمد محمد احقيف ـ كلية اللغات ـ جامعة الجفارة

المدخـــــل :

يُعتبر الأدب صـــورة تحاكي المعطيات الاجتماعية والحضارية للمجتمع وترجمة للأعمال الأدبية من لغة أجنبية التي تمكّن القارئ من معرفة وفهم كل المعطيات الاجتماعية والحضارية.

لقد عـــرف الأدب العربي تطـــوراً كبيراً في عصر النهضة الثانية بعد نهضته الأولى التي كانت في العصر العباسي وقد ارتبط مفهوم تأثر الأدب العربي بالآداب الأجنبية مع " الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798 م ، وكان هذا في عهد محمد علي ، ويعتبر هذا الحدث التاريخي بدايات التحول في مسار الأدب العربي"(1) ، ويرجع سبب هذا التحول لاصطحاب " نابليون أثناء حملته العديد من المثقفين والعلماء الفرنسيين وأنشأ مطبعة ساعدت على إحياء التراث العربي القديم ووضعه بين أيدي القراء"(2).

مشكلة البحث :

تعززت علاقة الشرق بالغرب عن طريق البعثات المختلفة في شتى الميادين ومنها العلمية منذ أواسط القرن التاسع عشر حيث " ساعدت على انفتاح العرب على الثقافات الأجنبية وتأثر كثير من أدبائنا وشعرائنا ونقادنا بالمذاهب الغربية والفلسفات النقدية الحديثة"(3) ومن بينهم محمد مندور عندما قال :" عندما عدت من أوروبا أخذت أفكّر في الطريقة التي نستطيع بها أن ندخل الأدب العربي المعاصر في تيار الآداب العالمية من حيث موضوعاته وأساليبه "(4) فكان لهذا العامل الدور الفعال في تغيير الطابع التقليدي للأدب العربي ، وبدأت حركات واسعة النطاق لاستيعاب واستقبال الآداب الأجنبية المختلفة وبدأ العرب يتعرفون عليها من خلال هذا العامل وعوامل أخرى.

خطـــة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة ومحورين ، وخاتمة ، ففي المحور الأول : العوامل التي ســـاعدت الأدب العربي على التأثـر بالآداب الأجنبية ، وفي المحور الثاني : المحور

الثاني ـ ظواهـــر التأثر في الفنـــون الشعرية والنثرية ، ثم الخاتمة ، وثبت المصادر والمراجع

المحور الأول ـ العوامل التي ســـاعدت الأدب العربي على التأثـر بالآداب الأجنبية

1- البعثات العلميـــة : نعلمُ جميعًا ما مـــرَّ به الأدب العربي من جمود وركود خلال فترة سيطرة الدولة العثمانية على الأمّـــة العربية مما حدَّ من تطـــوّر الأدب العربي ، واستمر الحال على ما هـو عليه حتى القـــرن التاسع عشر فأخذت البلاد العربية تنحى منحى آخـــر وتستيقظ من سباتها وتتطلع على عالم جديد ؛ إذ شهد هذا القرن ظهور عدة نظريات ومفاهيم ، لقد أدرك محمد علي أن التعليم هو أساس قيام الدولة السليمة فأسس المدارس واستعان بالمسيحيين المصريين وبعض الشاميين الذين تعلموا وتخرجوا من مدارس الإرساليات التبشيرية فقاموا بترجمة المؤلفات العلمية من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية ولم يقف عند هذا الحد ؛ بل قام بإرسال نخبة من المصريين خارج مصر لتعليمهم تعليمًا عصريا (5) ، وتعززت معرفة الشرق بالغرب عن طريق البعثات العلمية المنظمة إلى البلدان الغربية وفي مقدمتها الدول التي كانت بينها وبين البلدان العربية صلات استعمارية كفرنسا ، وهو ما يؤكده "محمد عوني عبد الرؤوف" بقوله : "أرسلت في عهد محمد علي سبع بعثات أولاها سنة 1809م إلى إيطاليا، ثم تعددت البعثات إلى إيطاليا وفرنسا وإنجلترا والنمسا لدراسة مختلف العلوم وكانت الترجمة ضمن الدراسات المطلوبة"(6) ، وإلى جانب الترجمة قام محمد علي بتعليم كثير من العلوم باللغتين العربية والفرنسية وتعليم الترجمة ، وأسس مدرسة الألسن سنة 1835 م ، وهي مدرسة للمترجمين(7) ومدارس أخـــرى على اختلاف درجاتها ، وقد اتبع ذلك على سبيل الفكرة التي اتبعها في إنشاء الجيش فأسس المدارس الحديثة، وأخذ من الحضارة الأوروبية خير ما أنتجته العلوم .

2- حركـــة الترجمة تعتبر الترجمة وسيلة من وسائل النقل والمعرفة من أدب إلى أدب آخـــر، وهي نافذة استطعنا من خلالها التعرف على الأدب العالمي ، وتعد وسيلة اقتباس من النهضة الأوروبية إلا أن بعضهم يرى أن هذه الوسيلة كانت مقيّـــدة بذلك المستعمر أثناء احتلاله للبلدان العربيـــة ، فيقول الدكتور أنور الجندي : " إن الترجمة في العصر الحديث قد جاءت في ظـــل النفوذ الأجنبي الذي يســـطو على العالم العربي كله خـــلال القـــرن التاسع عشر ، ولذلك فإن جانب الاختيار والتفضيل لفنون الثقافة الغربية لم يكن مكفـــولا ، ولذلك نقلت إلى أدبنا العربي جوانب متعددة منها الإيجابي

ومنها السلبي وكانت الترجمة على درجات متفاوتة فيها القدرة والكفاية وفيها الضعف والاضطراب"(8) .

وبالرغم مما تفضل به الجنـــدي إلا أن الترجمة تعــد عاملاً رئيسا في نقلة الأدب العربي من مرحلة الركود والجمود التي مر بها إلى مرحلة الإحياء والتفتح على الآداب الأخرى ، فقد كانت حركة الترجمة من أهم المظاهر التي عني بها محمد علي حتى أن أغلب الكُتب ظهرت مترجمة في عهده مترجمة عن كتب أخـــرى ، وقد بلغ ما نشرته مطبعة بولاق بين سنة 1822 م إلى سنة 1842-243 م كتابا(9) ، ولم يكتف بذلك ؛ بل أنشـأ مدرسة الألسن برئاســـة رفاعة الطهطاوي التي أدّت دورًا فعالاً في مجال التعليم والترجمة فتقوم بتعليم الطلاب وتمرنهم على ترجمة الكتب النافعة (10)

لقد أعطت حركة الترجمـــة ثمارًا طيبةً لحركة الأدب والثقافة العربية بداية عصر النهضة ولعبت دورًا مزدوجًا فهي تتبادل الأدوار مرسلة مـرة ومستقبلة تارة أخـــرى ، " وما ينطبق على الحضارات ، ينطبق على الآداب ؛ لأن الأدب يمثل الجانب المعنوي من الحضارة ، فهو المصوّر لعواطف الشعوب، والمعبر عن آلامها وأفراحها ومن ثم فمن السذاجة الاعتقاد بانعزال بعض الآداب عن بعض"(11) ، فالترجمة وثقت الصلات بين الأدب العربي والآداب الغربية وصارت جسراً ثقافياً بين الشعوب تمكنا من خلالها التعرف على آداب أخـــرى وإثراء الأساليب الفنية وتجديد المناهج النقدية واكتشاف حضارات الشعوب من خلال الآداب المترجمة.

3-الصحافـــــة : كانت الصحافة العربيـــة في القرن التاسع عشر عاملا هاما في النهوض بالحركة الأدبية والنقديـــــة عند العرب وذلك بمجيء الفرنسيين بحملتهم الاستعمارية إلى مصر حيث أصدروا جريدة التنبيه سنة 1799م كانوا يطبعون فيها الحوادث اليومية والأوامر الرسمية(12) وعندما تولى محمد علي زمام أمور الحكم في مصر أصدر جريدة الوقائع المصرية سنة 1828 وجرائد أخرى كمرآة الأحوال لرزق الحلبي سنة 1855م وجريدة حديقة الأخبار لخليل الخوري سنة1858(13).

لقد ظهرت العديد من الصحف والمجلات الأخرى في مختلف أنحاء الوطن العربي كالجنان والمقتطف والآداب في بيروت والهلال والثقافة في مصر والعربي في الكويت مما أسهم في إثراء الحركة الفكرية ونشر الثقافة وأيقظت الوعي القومي وأرست قواعد الأدب العربي من ناحيتي الأسلوب والمضمون ، فقد حررته من السجع والزخرف والإسهاب وأمدته بالموضوعية والقضايا وفتحت أمامه الآفاق فأذاعته ونشرته على نحو لم يكن يتحقق عن طريق الكتاب المطبوع (14)

4-الحملات العسكرية و التبشيريـــــة : من الروافد التي ساعدت المعاصرة العربية الحديثة بتأثرها بالآداب الأجنبيـــة الحملات العسكرية والتبشيرية على الوطن العربي وعلى سبيل المثال الحملة الفرنسية على مصر وما " حملت معها من أفكار ونظم ووسائل ثقافية كالمطبعة والمجمع العلمي واستعانتها ببعض المسيحيين المصريين أو الشاميين من خريجي مدارس الإرساليات وكذلك إرسال محمد علي البعثات الطلابية للتعلم في أوروبا عامة وفرنسا خاصة وهكذا بدأ المثقف العربي يطلع باستمرار على الثقافة الفرنسية ليتجلى ذلك الاطلاع في تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الأجنبية المختلفة وفتح نوافد أخرى للاطلاع على ثقافة الآخر"(15) ، وتم ترجمة الكثير من الإبداعات الأجنبية والاقتباس منها وفي هذا الصدد نجد كذلك إنجلترا قد سلكت مسلك الإرساليات على مصر لنشر نفوذها وتطلعت إلى احتلالها وبدأت تمهد لذلك من خلال إرسال الإرساليات التبشيرية لتحقيق أهدافها.

وهناك إرساليات أخـــرى أرسلت إلى مختلف الأقطار العربية مثل بعثة التبشير الأمريكي التي جعلت من بيروت مقرًا لها سنة 1821 م ، وكذلك أنشأت المدارس والتي بلغ عددها حـــوالي ثلاثًا وثلاثين مدرسة كان الهدف منها تعليم أبناء البلاد والعمل بهذه المدارس (16) ، لقد عملت هذه الإرساليات على التبادل الثقافي وبقيت نافـــذة على ثقافات أخـــرى لشعوب أجنبية مما جعل منها وسيلة من وسائل الاتصال المباشر بين أبناء القطر العربي والدول الأجنبية.

5-الهجـــــرة : من العوامـــل التي ساعدت على تأثر المعاصـــرة العربية بالآداب الأجنبية عامل الهجرة وكانت الهجرات في القديم نتيجة "اضطرابات طبيعية أو سياسية، تنتقل بسببها جماعة من بلد إلى بلد آخر، فتؤثر في أدب البلد الآخـــر وتفكيره"(17) ، فاتصال العرب بغيرهم بواسطة الهجرات مما ساعد الأدباء والمثقفين العرب بالتأثر بالآداب الأخرى وعلى سبيل المثال هجـــرة الكثير من أبناء القطر السوري واللبناني إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، حيث استقروا في أمريكا الشمالية والجنوبية وكونوا لهم مجتمعاً اتٍ ولكنهم جددوا فيه من حيث اللفظ والمعنى.

لقد حافظ المهجرون بالقدر المستطاع على الوزن والقافية خاصة شعراء المهجر الشمالي ويقول الدكتور عيسى الناعوري في ذلك:" لابد من القول إن فئة المهجر الشمالي على قلة عدده حافظوا من خلاله على سمات المجتمع العربي فلم يتجـــرأوا على الشـــعر العربي بهجوم كانت أبعد أثراً من فئة المهجر الجنوبي وذاعت آدابهم في العالم العربي كانوا فئة قليلة فإن مهاجري الشمال والذين تفوقوا منهم أيضا كانوا فئة

قليلة – كانوا أبرز أثراً وأوسع آفاقا وأعمق إحساسا بإنسانية الأدب والشعر ، لقد كانوا في أدبهم متحررين من كل تأثير قديم في الفهم وفي الإنتاج فظهر أثر هذا التحرر في أدبهم مما طبعه بطابع متميز في حريته وسعته"(18) ، وأما عن العوامل التي ساعدتهم في نشر أفكارهم ونتاجهم الأدبي تلك المدارس التي أنشأوها ،فبواسطتها نقلت أفكارهم إلى عالمنا العربي الذي يهفوا إلى كل جديد يبين خيوط التجديد من خيوط التعتيم القديمة عــــرف شعراء المهجر أن الشعر يمكن أن ينظم بغير المدح والنسيب والغزل والهجاء والرثاء...وفي هذا الشأن يقول ميخائيل نعيمة: " أدركنا بفضل الغرب أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب والمدح والهجاء والوصف والرثاء والفخر والحماسة لذلك أطربتنا نغمة بعض شعرائنا الحديثين الذين تجاسروا أن يتعدوا هذه الحدود المقدسة وانتقلت إلينا بفضل الغرب كذلك الرواية أو ما يدعونه بالإنجليزية (نوفل) وبالفرنسية (رومان)(19) وعندما أحست هذه النخبة من أدباء المهجر بوحدة الغرض الذي يسعون إليه قرروا أن تكون لهم رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم في سبيل" اللغة العربية وآدابها ويكون غرضهم بث روح التجديد في جسد الأدب العربي ليغيروا فيه وينتشلوه من وهدة التقليد حتى يصبح قوة فعالة في حياة الأمة"(20) وصار أدب المهجر الذي كتب باللغة العربية المتجددة مظهرا من مظاهر ازدهار المعاصرة العربية الحديثة سواء في الداخل أو الخارج.

6-الاستـــشراق : يعتبر الاستشراق عاملاً من عوامـل تأثر النّهضة الأدبية العربية الحديثة بالآداب الغربية ففي عالمنا العربي المعاصر "لا يكاد يجد المرء مجلة أو صحيفة أو كتابا إلا وفيها ذكر أو إشارة إلى شيء عن الاستشراق أو يمت إليه بصلة قريبة أو بعيدة وهذا ليس بمستغرب ذلك أن الاستشراق في حقيقة الأمر كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي"(21) فقد أسهم الاستشراق في دفع عجلة البحوث العلمية وتنمية المناهج وربط الصلة بين المناهج المغربية والمناهج الشرقية، وتعميق الّصلة بين علماء الاستشراق وعلماء العرب(22) زد على ذلك أثره وتجلياته على إحياء اللغة العربية والتي تمثلت في الآتي:-

1-**فهرسة المعاجم:** اعتنى المستشرقون بإعداد المعاجم، كالمعجم اللاتيني العربي هذا وقد اهتموا بالفهرسة لهذه المعاجم وترجمتها كما عهد إلى أحدهم بترجمة المعجم العربي اللاتيني إلى العربية الفصحى (23) حيث أخذ المستشرقون على عاتقهم إخراج المعاجم العربية القديمة التي أعدها العرب وتنظيمها وإصدارها حسب منهجهم، فكان هذا العمل له الأثر الكبير على الباحث العربي وكذلك المكتبة العربية

2-**إعداد دائرة المعارف:** لقد اهتم المستشرقون بدائرة المعارف وتعد من أهم أعمالهم لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، وتناول كل واحد منهم ما يدخل ضمن تخصصه العلمي فظهرت فكرتها منذ أواخر القرن التاسع عشر فصدرت أول بحوثها سنة 1913 م وهي نتاج عدد كبير من المستشرقين.

2ـ **تقسيم الأدب العربي حسب عصوره وتاريخه** : من الأدوار التي لعبها المستشرقون ظاهرة تقسيم الأدب العربي كالجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي...إلخ مما يعد هذا التقسيم ظاهرة ضرورية في أدبنا العربي (24) ، وهذا العمل كان له أثره على كثير من الدارسين العرب المحدثين وخاصة الذين اجتهدوا في حل معضلة تاريخ الأدب العربي وأنهم لم يتعرضوا لمعضلة تاريخ أدبهم إلا بعد ان تأثروا بالاستشراق .

4-**تحقيق المخطوطات :** عند تحقيق أي نص يجب الاستعانة بأحد المناهج النقدية لكي تمكّن المحقق من استكشاف النص ومعرفة دلالاته وألفاظه فلاقى هذا الأمر العناية من قبل المستشرقين ومن بينهم المستشرق "برجستراسير في كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب"(25) ، وقد تأثر كثير من علماء العرب بمنهج المستشرقين في التحقيق، ونقل هذا المنهج إلى العربية ومن بينهم أحمد زكي باشا الذي أشاد بمنهج المستشرقين في دقة التحقيق معترفا بتأثر العرب المحدثين بعلماء الاستشراق ، وكذلك عبدالسلام هارون الذي ألّف كتابًا في فن التحقيق سمّاه فن تحقيق النصوص ونشرها سجل فيه خطوات التحقيق ومراحله (26) ومن خلال اطلاعنا على كثير من الكتب والمنشورات ؛ فالاستشراق يعتبر ظاهرة فكرية لعبت دورًا كبيرًا في شتى مجالات المعرفة العربية والإسلامية لا سيما ما يتعلق بالفكر والأدب قديماً وحديثا.

المحور الثاني ـ ظواهر التأثر في الفنون الشعرية والنثرية:

أولاً ـ في الشعر : إن المتتبع للقصيدة العربية في مسارها الطويل بدءاً من العصر الجاهلي ووصولاً إلى العصر الحديث يجدها قد مرت بعدة مراحل للتطور، لكنها ظلّت محافظة على بنيتها المعهودة القائمة على نظام الشطرين ووحدة القافية، ذلك أنّها لم تتلق هزة عنيفة على مستوى البنية الفنّية أو الشكل و في العصر الحديث و بظهور ما يعرف بشعر الحداثة وما بعد الحداثة ، وخاصة بعد " الحرب العالمية الأولى وذلك لعدّة عوامل أدّت إلى تطور الشعر وصار يعبر عن تجربة صادقة ويصور آمال وآلام الشاعر وأصبحت القصيدة العربية وحدة فنية مترابطة الأجزاء فلم تعد القصيدة تسير على نظام الوزن الواحد والقافية الموحدة وبرز شعر المقطوعات التي تتعدد فيه القافية وظهر شعر آخر وهو الشعر الحر والمرسل وقصيدة النثر"(27) لقد

ظلّت القصيدة العربية العمودية محافظة على حضورها الدائم واستمراريتها جنباً إلى جنب مع هذه الأنواع الشعرية ، حتى أنّها استفادت من كلّ ما من شأنه أن يثريها ويطورها. لذا سنعرض هذه الأنواع الشعرية و ظهورها في الأدب العربي

أ-الشعر المرســـــــل : يقصد بالشعر المرسل الشعر هو" الذي يتقيد بالوزن ولا يتقيد بالقافية بل ترسل فيه القافية إرسالاً، فتتغير كيفما يشاء الشاعر"(28) فحاول شعراء العرب في العصر الحديث الاحتذاء بالشعر "المرسل الإنجليزي ليتسنى لهم كتابة الأعمال الدرامية والترجمة ويأتي الشعر المرسل في أي بحر من بحور الشعر العربي، كما أن أبياته موحدة الطول، وتنقسم بوجه عام إلى شطرين ،أماعن الوزن فهو موحد طوال القصيدة كلها و قد يستخدم هذا المصطلح أحيانا لتسمية الأبيات ذات القوافي المزدوجة أو التبادلية"(29) ، أما من أول من استخدم هذا النوع من الشعر تقر أغلب المصادر بأن جميل صادق الزهاوي هو أول من استخدم هذا النوع ونظم فيه شعرا سنة 1905م ، ثم تبعه عدد آخر من الشّـــعراء في الشعر المرسل أمثال عبد الرحمن شكري الذي " ظهرت أول قصيدة له في الشعر المرسل في ديوانه الأول سنة 1959م ، بينما اشتمل ديوانه الثاني الصادر عام1913 م ، على عدد من قصائد الشعر المرسل، متفاوتة الطول في جميع تلك القصائد بقي محتفظاً بنظام الشطرين، و لم يلجأ إلى أي وسيلة جديدة يعوض بها خسارة الموسيقى المعهودة في نهاية البيت الشعري"(30)

ب-الشعر الحـــــر : الشعر الحر هو أن "يتحرر فيه الشاعر من القافية والوزن معا ومن الممكن أن نطلق عليه اسم الشعر المنثور أو قصيدة النثر"(31) وأول من ابتدعه الشاعر الفرنسي لافونتين وقد ازدهر هذا الفن في فرنسا " منذ 1886حين ازدهرت المدرسة الرمزية في الشعر التي اعتمدت على تجنيس الأصوات بدلاً من القافية، و على الإيقاع بدلاً من الوزن و يعتبر جوستاف كان أوضح مبين لمميزات هذا الشعر في المدرسة الرمزية الفرنسية (32) وهذا على الصعيد الغربي أما عند العرب فقد تأثر الكثير من الشعراء بذلك النمط الجديد من الشعر وأول من استخدم هذا النوع أحمد زكي أبوشادي الذي طور هذه الطريقة التي بدأ استخدامها عام 1926م محاولة منه نقل الشعر الحر عن انجلترا و أمريكا. وحذا حذوه شعراء آخرون حتى عام 1947م. صاحبة الفضل الأول في اكتشاف شكل الشعر الحر إذ تقول في كتابها قضايا الشعر المعاصر "صدر كتابي هذا وفيه حكمت أن الشعر الحر قد طلع من العراق ومنه ولج إلى أقطار الوطن العربي"(33) واعتبرت من سبقوها في ذلك مجرد إرهاصات تتنبأ بظهور حركة الشعر الحر.

إن المتتبع لحركة الشعر الحر يجده قد تأثر في انطلاقته وتطوره بالشعر العالمي ورغم الاختلاف الذي حدث بين نازك الملائكة والسياب والذين سبقوهما في حق الريادة أو الأسبقية إلا أن الهدف واحد ومشترك بينهم وهو تخطي قيود الشكل التقليدية في القصيدة العربية التي عرفت برتابة الوزن والتخلي عن القافية ونقل الشعر من حالة الجمود إلى حالة أكثر حيوية فاصبح الشاعر العربي المعاصر قادرا على صب أفكاره ورؤاه الحديثة في قوالب جديدة لم يسبقه غيره من الشعراء لها.

ج-قصيـــــدة النثر : تُعتبر قصيدة النثر من الأجناس الأدبية المستحدثة والتي تســـعى للتخلص من القيود القديمة الموروثة (نظام العروض في الشعر العربي) وقد أثار هذا النّوع الأدبي إشكالات كثيرة بخصوص المصطلح الدال عليه ، وحتى بمســـألة الاعتراف أو عدم الاعتراف به كنوع أدبي. فبخصوص المصطلح، تعددت محاولات إيجاد مصطلح بديل لمصطلح "قصيدة النثر" الذي اعتبره الكثيرون مصطلحاً خاطئاً وقاصراً ومع ذلك، ظلّ "الأكثر استعمالا وشيوعا في النقد الأدبي المعاصر من غيره من المصطلحات التي أطلقت على النمط الكتابي الشبيه بالشعر والنثر معا في الشعرية العربية المعاصرة" (34) ، لقد كانت أول دراسة عربية عن قصيدة النثر "متأثرة بأفكار ســـوزان برنار للشاعر أدونيس في مقالة له بالعربية عنوانها (قصيدة النثر) نشرت في المجلة اللبنانية عام 1960م ، فكان أول ما سمَّى هذا النتاج الشعري قصيدة النثر نقلا عن التسمية الفرنسية الواردة في كتاب سوزان برنار كما أفاد الشاعر أنسي الحاج أفكاره حول قصيدة النثر من أفكار سوزان برنار وصاغ بيانه في مقدمة ديوانه (لن) "(35) ، وبذلك نجد كل من أدونيس وأنسي الحاج قد عملا على التأسيس النقدي لقصيدة النثر، ويشير ناجي علوش إلى أن قصيدة النثر قد ظهرت في وقت مبكر في الأدب العربي، حتى قبل ظهور قصيدة التفعيلة ممثلة في كتابات جبران خليل جبران مي زيادة ، و "أمين الريحاني"، إلا أنها كانت تفتقر إلى مبرراتها النقدية. و كانت نتيجة ظروف معينة عايشها هؤلاء أهمها اطلاعهم على الآداب الأجنبية و تأثرهم الشديد بها كما أنهم لم يصدروا مجموعات كاملة في هذا النّوع، فظلَّت "قصيدة النثر" غريبة في الأدب العربي حتى بدأت مجلة شعر تنشر قصائد نثر و وضعت لها أسسها النقدية (36)، وعلى العموم فقد أثارت قصيدة النثر إشكالية التأصيل من منظور التعارض مع التراث والتغاير مع الغرب، و لم يعترف بها أغلبية النقاد بوصفها شكلاً فنياً خلاقاً كما فعلوا مع قصيدة التفعيلة وهذا ما أشارت إليه إيمان ناصر في قولها: "أثارت قصيدة النثر العربية إشكالية التأصيل من منظور التعارض مع التراث والتغاير مع الغرب. ووضعت في

صراع عقيم، بل إن جل النقاد لم يعترفوا بها بوصفها شكلاً فنياً خلاقاً كما فعلوا مع قصيدة التفعيلة التي عدوها مظهراً تجديديا فجوبهت بالتجاهل والاعتراض والنفي خارج الذاكرة الإبداعية و الثقافية"(37)

ثانياً ـ النثر: رأينا مظاهر تأثر الشعر العربي بالأدب الغربي ننتقل لنقف على أبرز مظاهر تأثر النثر العربي بالأدب الغربي

أـ **المسرحيـــــــة** : المســـرحية جنس من الأجناس الأدبية النثرية على هيئة قصة تمثيلية تُعرض فكرة أو موضوعًا أو موقفا من خلال حوار يدور بين شخصيات مختلفة وعن طريق الصراع بين هذه الشخصيات يتطور الموقف المعروض حتى يبلغ قمة التعقيد ثم يستمر هذا التطور ليؤدي إلى انفراج ذلك التعقيد ويصل إلى الحل المسرحي المطلوب ، وأما عن بدايات المسرح العربي أكدت أغلب المصادر أن الفضل يرجع لحملة نابليون بونابرت على مصر فقد " كان معه بين رجـــال البعثة العلمية الفرنســـية اثنان من كبار الموسيقيين يسمى أحدهما : (ريجل) والثاني : (فيلوث) ، وهما من وضعا اللبنة الأولى للمسرح الحديث في مصر وفي العالم العربي"(38) ، وكانت الترجمة وسيلة من وسائل اتصال المسرح العربي بالمسرح الغربي والتأثر به .

وقد اهتم أدباء العربية بالترجمة للمسرح منذ وقت مبكر ، وانصبت جهود المترجمين على اللغة الفرنسية أولا، ثم الإنجليزية ، وقد ترجمت أيضا بعض المسرحيات عن اللغات الأخرى كالإيطالية والتركية(39) ، و يجمع أغلبية الباحثين أن أول من أدخل المسرحية إلى الأدب العربي هو اللبناني مارون النقاش مسيحي الديانة حيث أخرج المسرحية العربية الأولى البخيل والتي استوحى أفكارها من موليير و كان ذلك في عام 1847نظرا لإلمامه التمام والمتــقن بقراءة اللغة الفرنسية والإيطالية بجانب العربية والتركية ، فقد كيف مسرحية في قالب من الشعر العربي و سماها البخيل وأما في مصر فأول مسرح عربي أنشئ بها هو ذلك الذي قام به يعقوب صنوع بالقاهرة في يوليو سنة 1311 هـ ، وقد اقتبسه كذلك من إيطاليا التي درس بها ثلاث سنوات (40) ،

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن المسرحية كنوع أدبي قد دخلت إلى أدبنا العربي بتأثير من عالمية الآداب الغربية، عالمية الأدب الفرنسي تحديداً. ثم تطورت على أيدي عدد من الأدباء كان في طليعتهم المصريون. و قد انتشر هذا النّوع الأدبي في سائر الآداب العربية و برع فيه كثيرون فكتبوا المسرحية بنوعيها: النثري والشعري كما كتبوا مسرحيات للقراءة و أخرى للتمثيل، و جربوا الحداثة و ما بعد الحداثة

ب-القصـــــــــــــة : تأثــرت القصة العربية إلى حدّ كبير بالقصص الغربـــي "الذي وقف عليه أدباؤنا العرب وكتَّابها طوال القـــرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وكان أثــر القصة الغربية بطريق مباشر ، أي : عن طريق قـــراءة الكتَّاب لها في لغاتها الأصلية الإنجليزية أو الفرنســـية أو الألمانيـــــة أو عـــن طريق الترجمة ، وقد تُرجمت قصص كثيرة ، وخاصة عن الأدبين الفرنســـي والإنجليزي "(41) ، وهذا سبب رئيس في تأثر القصة العربية بالقصص الغربي. لقد عمد الكتَّاب إلى التأليف في هذا الفن من عند "أنفسهم تقليدا للإفرنج ومن أقدم المشتغلين في ذلك سليم بطرس البستاني فقد ألّف قصص تاريخية نشـــرها في (الجنان) ، وأقدم آخـــرون على التأليف في هذا الفـــن" (42) ، وأقدم المترجمون والمتأثرون بالقصة الغربية باتجاهاتها الفنية المختلفة من كلاسيكي ورومانتيكي وواقعي واجتماعي ، ومن رواد الترجمة لفن القصة في مصر رفاعة الطهطاوي ، ومحمد عثمان جـــلال ، فقد ترجم الطهطاوي مغامرات تليماك وأسماها (وقائع الأفلاك في حوادث ت ليماك) ، وكذلك ترجم محمد عثمان جلال بعض القصص في لغة العامة مثل : (طرطوف لموليير) ، وترجم نجيب حداد اللبناني رواية (السيد) لكورتيل عـــن الفرنسية وسماها : (غرام وانتقام) وتوالت بعد ذلك الترجمات الكثيرة والتعريب لقصص الغرب (43) ، ويشير شاكر مصطفى إلى أن الترجمة كانت محدودة جدا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية على الأقل وأن ترجمة القصص القصيرة الفرنســـية أو الروسية عن طريق الفرنسية لم تكن أكثر من هواية محببة لديهم ، ويمكن اعتبار الكتَّاب الأوروبيين الآتية أسماؤهم أكثر الكتاب تأثيرا في فترة ما بين الحربين فمن الكتاب الفرنسيين نجد : فرانسوا كوبي ، غوتييه ، ديما ، هيجو ، موسيه ، بييرلوتي ، هنري بوردو ، دوسانت بيير ، موليير ، كوريي ، شاتوبريان ، موباسان ومن الكتاب الروس نجد تولستوي و تشيخوف و غوركي ، أما الإنجليزية فنجد شكسبير و ديكنز و برناردشو ، وأما الألمان نجد غوته وشيلر(44)، وهكذا ، فالقـصة في شكلها الفني ، وبمفهومها الأدبي المحدد لم تعرف طريقها إلى الأدب العربي الحديث إلا ســنة 1911-1916م الفترة التي أخذت تظهر فيها قصص بأقلام محمد حسين هيكل محمود تيمور وميخائيل نعيمة وذلك لتأثرهم بالآداب الغربية

ج-الروايـــــة : الرواية من الأنواع النثرية القصصية الحديثة ، ظهرت في الآداب الأوروبية أولاً، ثم في باقي آداب العالم ومنها الأدب العربي وقبل الخوض في الحديث عن الروية العربية وتأثرها بالرواية الغربية نقف قليلا عند بدايات فن الرواية في الآداب العالمية حيث أجمع جل النقاد أن البداية كانت من الأدب الفرنسي و منه انتقل إلى باقي

الآداب الأوروبية و الآداب الأخرى وقد توفرت لفرنسا عدة معطيات أسهمت في ظهور هذا الفن في أدبها و" أهم الدراسات التي تعرضت لنشأة الرواية الغربية قد ردت تلك النشأة إلى أسباب تاريخية، أدت إلى تغيرات فكرية و اقتصادية و اجتماعية حاسمة جعلت من ولادة هذا الشكل الجديد الرواية أمـــرًا طبيعيا"(45) أما عن فن الرواية في العالم العربي فقد تأثرت كثيرا بالعالم الغربي وفي ذلك صرح محمد حسين هيكل بإعجابه بالأدب الفرنسي في مقدمة روايته (زينب) فقال "فلما أكببت على دراسة تلك اللغة وآدابها رأيت فيها غير ما رأيت من قبل في الآداب الإنجليزية و في الآداب العربية. رأيت سلاسة و سهولة و سيلا، و رأيت مع هذا كله قصدا و دقة في التعبير و الوصف و بساطة في العبارة لا تواتي إلا الذين يحبون ما يرون التعبير عنه أكثر من حبهم ألفاظ عبارتهم"(46) كذلك نجد الناقد عمر الدسوقي الذي يؤكد على أن الرواية العربية جاءت عن طريق ما عرفه الأدباء من هذا الجنس من خلال ما ترجم من روايات غربية فيقول:" لقد اشتدت حركة التعريف في الأدب ولا سيما الروايات والقصص وقد عرفت فيما سبق أن الكلية الأمريكية ببيروت أسست سنة 1860 ثم أسست الكلية الدسوقية بعدها بقليل وقد كانت لهاتين الكليتين أثر بارز في توجيه النشء إلى القصة العربية ولما هاجر كثيرا من نصاري لبنان إلى مصر أخذ هؤلاء المهاجرين يترجمون القصص الأوروبية ويذيعونها على الناس"(47)، وهنا يؤكد الدســـوقي أن الروائيين العرب عملوا على ترجمة الروايات الغربية ونشرها في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى بأسلوب بسيط جعل من القراء في البلدان العربية يهتمون بها اهتماما كبير ويحاكونها ـ أيضا ـ نجد جورجي زيدان يؤكد بأن الرواية العربية قد تأثرت بالرواية الغربية فيقول:" إن هذا الفن (الرواية) اقتبس عن الأجانب فهم الذين جعلوا شأنا عظيما للرواية واقتبسها عنهم العرب بقواعدها ومناهجها وحتى موضوعاتها..."(48)، لقد ألفت الكثير من الروايات العربية بعد التعرف على أسلوب الرواية من خلال ما ترجم من روايات غربية وخاصة الفرنسية ونشرت في العديد من الصحف والمجلات وبذلك نستنتج أن الرواية العربية هي وليدة الصحافة والترجمة وكان للأدباء دور في إرساء دور النشر والصحافة وترجمتهم لعدة روايات غربية نسجوا على منوالها كتاباتهم الرواية.

د-المقالـــــــة : وهي أحـــد الفنـــون النثرية و تُعرف بأنها: "قطعة مؤلفة متوسطة الطول، و تكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة و الاستطراد و تعالج موضوعاً من الموضوعات، ولكنها تعالجه على وجه الخصوص من ناحية تأثر الكاتب به" (49) وتجمع مراجع التاريخ الأدبي على أن هذا الفن فرنسي النشأة، إذ يعتبر الكاتب الفرنسي

"ميشال مونتين هو رائد المقالة الحديثة في الآداب الأوروبية وأول من كتب مقالا حديثا حيث اعتمد على الأدبين الإغريقي واللاتيني ثم انتقل هذا الفن إلى بقية الآداب الأخرى ومنها الأدب العربي إلا أن هذه اللفظة ليست غريبة عن العرب ولكنها من حيث دلالتها الفنية تعتبر حديثة(50) وبذلك ندرك أن العرب لم يتعرفوا على هذا الفن بمفهومه الحديث وكل ما عرفوه في نثرهم مما يقترب من هذا النّوع الأدبي الحديث هو الرسالة و هي نوع عربي أصيل، لقد مرت المقالة العربية الحديثة في تطورها بعدة مراحل وهي:

1-**مرحلة النشـــــأة الأولـــــى** : وهي التي أنشئت فيها الصحافة التي بفضلها بعثت المقالة في ثوبها الجديد والفضل يرجع كله لرفاعة الطهطاوي بعد رجوعه من فرنسا وغيره من الكتَّاب الذين أسهموا في إحداث ثورة ثقافية في العالم العربي مما جعل من المقالة العربية متأثرة بالمقالة الغربية الحديثة وتعتبر جريدة الوقائع المصرية من أبرز الصحف التي ضمت أقلاما أدبية عربية كالحسن العطار وعبدالله السعود وإسماعيل الخشاب وغيرهم من الكتَّاب.(51)

2-**مرحلة نشأة الحـــزب الوطـــــني** : والتي برز فيها العديد من الكتَّاب والصحفيون أمثال عبدالله فكري وجمال الدين الأفغاني وعبدالرحمن الكواكبي وغيرهم الذين عالجوا الشؤون السياسية والاجتماعية والدينية فتطورت المقالة وتخلصت نسبيا من السجع والتكلف.(52)

3-**ظهور كتَّاب متميزين في القرن العشرين،** أحدثوا تطوراً محسوساً فيها أمثال: طه حسين و عباس محمود العقاد محمد السباعي و سلامة موسى وعبدالرحمن شكري والمازني....وغيرهم قاموا بتخليص المقالة من قيود الصنعة و السجع، و جعلوا من أسلوبها بسيطاً حراً يعتني بالأفكار و المعاني أكثر من اعتنائه بالعبث البديعي(53)

النتائـــــج:

يدرس هـــذا البحث تأثر المعاصرة الأدبية العربية بالآداب الأجنبية ، وقد توصلت للنتائج الآتية:

1- تأثر المعاصرة الأدبية بالآداب الأجنبية منذ الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798.

2- تعززت العلاقات العلمية بين الشرق والغرب عن طريق عدة عوامل كالبعثات العلمية التي ساعدت على انفتاح العرب على الثقافات الأجنبية وعامل الترجمة الذي بدوره قام على نقل المعرفة من الآداب الأجنبية إلى الأدب العربي وصارت جسراً ثقافياً بين الشعوب وكذلك الصحافة وهي تعتبر رافداً من روافد تلك النهضة الأدبية والنقدية

عند العرب وأيضا الحملات العسكرية والتبشيرية التي أسهمت في توطيد العلاقات بين الشرق والغرب كذلك عامل الهجرات وهو من الركائز الأساسية الذي لعب دوره في تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية كهجرة أبناء القطر السوري واللبناني إلى أمريكا الشمالية والجنوبية.

2ـ ظهور الأثر الفني للآداب الغربية على المعاصرة الأدبية العربية في الفنون الشعرية والنثرية والمتتبع للحركة الشعرية عند العرب قبل الانفتاح يجد القصيدة الشعرية لا تزال قائمة على نظام الشطرين ووحدة القافية ثم أخذت بعد ذلك نمط آخر وهو عدم تقيدها بالوزن الواحد والقافية الموحدة وظهر شعر آخر وهو الحر والمرسل وقصيدة النثر كذلك الفنون النثرية ظهر عليها الأثر الفني للآداب الأجنبية في المسرحية والقصة والرواية والمقال.

الهوامـــــــــــش :

1- محمـــود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة العصرية،لبنان،1984،ص30
2-ميشال جحا. خليل مطران بكورة التجديد في الشعر العربي ،ط2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان،1995.ص13
3-محمد رمضان الجربي . الأدب المقارن. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،فاليتا مالطا،2002 . ص34
4-محمد منذور في الميزان الجديد. ط1، مؤسسات ع.ع بن عبدالله للنشر والتوزيع، تونس، 1988 ص5
5 جمال الدين الشيال. تاريخ الترجمة في مصر -في عهد الحملة الفرنسية ،دار الفكر العربي ،1950.ص9
6 - محمد عوني عبدالرؤوف. تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوروبي. ط1، مكتبة الآداب القاهرة،2008ص251
7عبدالمجيد حنون. اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999-ص22
8-أنور الجندي-معالم الأدب العربي المعاصر- ط1، دار النشر للجامعيين ،مصر 1969ص85
9-أنيس المقدسي-الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث-،ط7، دار العلم للملايين ،لبنان 1982ص142
10- عمر الدسوقي-المسرحية نشأتها تاريخها أصولها ،دار الفكر العربي ،مصر، 1969–ص24
11-عثمان موافي-التيارات الأجنبية في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري-ط2-دار المعرفة الجامعية-مصر-2006-ص408
12-جودت الركابي –الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار-دار الفكر العربي القاهرة-ص281
13-عمر الدسوقي-المسرحية نشأتها تاريخها أصولها-مرجع سابق-ص272
14- محمد رمضان الجربي. الأدب المقارن.مرجع سابق.ص36
15عائشة حمزة-نوافد الأدب العالمي عند العرب-رسالة ماجستير –جامعة باجي مختار –عنابة الجزائر-2010-2011-ص36
16 -درويش الجندي-الرمزية في الأدب العربي-مكتبة نهضة مصر-ص374
17 -محمد غنيمي هلال-الأدب المقارن-ط3-نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة-1998-ص100
18-عيسى الناعوري-دراسات في الأدب الإيطالي-دار المعارف-مصر-1981ص17
19-ميخائيل نعيمة-الغربال-دار صادر للطباعة والنشر –بيروت لبنان-1960ص30
20- خليفة الماحي خليفة-أثر شعراء الرابطة القلمية في توجهات الشعر العربي الحديث-رسالة دكتوراه –جامعة التيليين-2014-ص11
21-محمود حمدي زقزوق –الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري-دار المعارف القاهرة-ص11
22-محمد فاروق النبهان-الاستشراق تعريفه مدارسه وآثاره-المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-2012-ص37
23-فوك وهان –تاريخ حركة الاستشراق-تر.عمر لطفي العالم-دار المدار الإسلامي-ط5-ج1.ص21
24-الطاهرأحمد مكي-الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه-ط1-دار المعارف مصر-2017-ص380
25-محمد فاروق النبهان-الاستشراق تعريفه مدارسه وآثاره-مرجع سابق-ص37

26-المرجع نفسه-ص39
27-محمد رمضان الجربي-الأدب المقارن-مرجع سابق-ص33
28 -حامد حنفي داود-تاريخ الأدب العربي الحديث تطوره معالمه الكبرى مدارسه-ديوان المطبوعات الجامعية –بن عكنون-الجزائر-1983-ص14
29-س.موريه-الشعر العربي الحديث-1800-1970-تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الادب الغربي –تر.شفيع السيد وسعد مصلوح—دار غريب للنشر والتوزيع-القاهرة-2003-ص18
30-سلمى الخضراء الجيوسى–الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث—ط1-مركز دراسات الوحدة العربية-لبنان-2001ص214
31-حامد حنفي داوود-تاريخ الأدب العربي المعاصر تطوره معالمه الكبرى مدارسه-مرجع سابق-ص32
32 -مجدي وهبة كامل المهندس-معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب-ط2-مكتبة لبنان - 1984-ص231
33 -نازك الملائكة-قضايا الشعر العربي المعاصر ط7-دار الملايين –بيروت-1983-ص14
34-حبيب بو هرور –إشكالية تجنيس قصيدة النثر بين الروافد الدبية الغربية وتماهيات الحداثة الشعرية ضمن تدخلات الأنواع الأدبية –مجلد1-ص272
35-أنسي الحاج-ديوان لن-المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر-بيروت –ط1-1982ص11
36-ينظر: ناجي علوش : من قضايا التجديد والالتزام في الأدب العربي-الدار العربية للكتاب -1978-ص60-61
37-إيمان ناصر-قصيدة النثر العربية التغاير والاختلاف-دار الانتشار العربي –بيروت-2007ص14
38-السيد علي إسماعيل-تاريخ المسرح في العالم العربي –القرن التاسع عشر-مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة-2012-ص14
39-عائشة حمزة –نوافد الادب العالمي عند العرب-مرجع سابق-ص56
40-عمر الدسوقي –المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها –مرجع سابق-ص14
41- محمد زغلول سالم. دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها أعلامها –منشأة المعارف –الإسكندرية-ص78
42 -جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية –دار الهلال –القاهرة -ص230
43 - ينظر: محمد زغلول سالم. القصة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها أعلامها. مرجع سابق.ص79
44 - حسام الخطيب-سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية الحديثة-دار الفكر المعاصر –سوريا-1991-ص21
45 -إبراهيم السعافين- نحولات السرد – دراسات في الرواية العربية –ط4 دار الشروق –عمان - 1996ص8
46-محمد حسين هيكل.زينب مناظر وأخلاق ريفية-مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-مصر-ص7
47-عمر الدسوقي. في الأدب الحديث-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –مصر-ط8-ج1- ص462
48-جورجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية .مرجع سابق.ص573
49 -شفيق البقاعي. أدب عصر النهضة-ط1-دار العلم للملايين-بيروت لبنان-1990-ص 2
50 -ينظر:عزالدين إسماعيل. الأدب وفنونه-دار الفكر العربي-القاهرة -2013-ص162
51-عبداللطيف محمد السيد .فن المقال في ضوء النقد الأدبي-الدار الإسلامية للطباعة والنشر-مصر-ط3-2003-ص21
52-السيد مرسي أبو ذكرى.المقال وتطوره في الأدب المعاصر-دار المعارف-القاهرة-مصر=1982ص50
53 - المرجع نفسه .ص52.